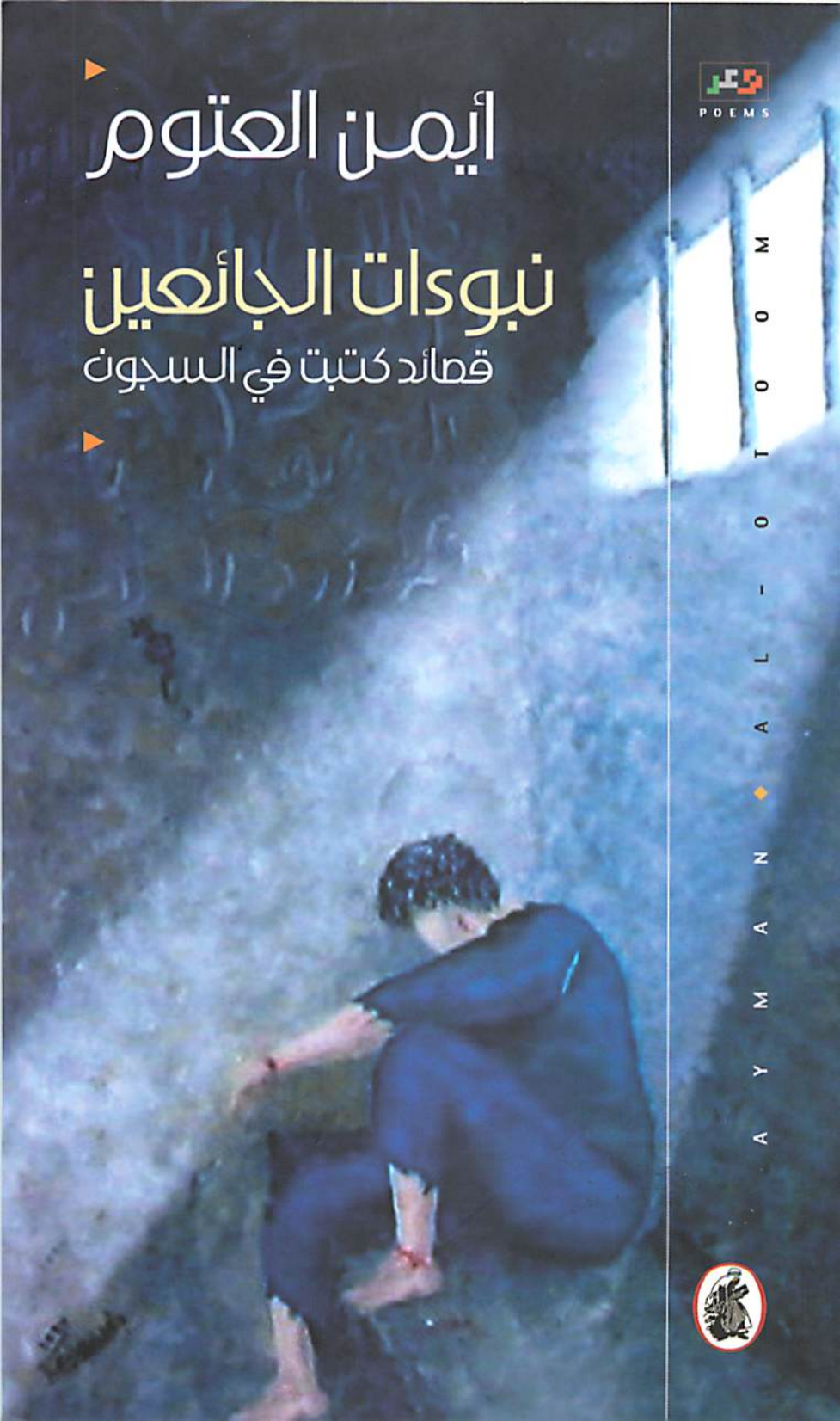
أيمن العتوم
نبوءات الجائعين
قصائد كتبت في السجون
POEMS
AYMAN AL-OTOOM

نبوءات الجائعين
قصائد كتبت في السجون

نبوءات الجائعين: قصائد كتبت في السجون / شعر عربيّ معاصر
د. أيمن العتوم / مؤلّف من الأردن
الطبعة الأولى، 2012
حقوق الطبع محفوظة

المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر
المركز الرئيسي :
بيروت ، الصنايع، بناية عيد بن سالم،
ص. ب 5460-11، هاتفاكس 751438 / 752308 1 00961
التوزيع في الأردن:
دار الفارس للنشر والتوزيع
ص. ب 9157، عمّان 11191 - الأردنّ،
هاتف 5605431 6 00962 / 5605432 6 00962، هاتفاكس 5685501 6 00962
e-mail: info@airpbooks.com
موقع الدار الإلكترونيّ: www.airpbooks.com
تصميم الغلاف والإشراف الفنّي:
سمير سيسبان عمّان 95297109 7 00962
لوحة الغلاف: أحمد أبو هنيّة/ فلسطين
الصفّ الضوئيّ: المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر/ بيروت ، لبنان
التنفيذ الطباعيّ: ديمو برس/ بيروت ، لبنان

All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system or transmitted in any form or by any means without prior permission in writing of the publisher.

جميع الحقوق محفوظة. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أيّ جزء منه، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات، أو نقله بأيّ شكل من الأشكال، دون إذن مسبق من الناشر.

ISBN 978-614-419-132-3

شعر
POEMS

أيمن العتوم

نبوءات الجائعين

قصائد كتبت في السجون

الإهداء:

إلى الّذين اسْتعذَبوا قُيودَهم كي لا يَعِيشُوا عَبيدًا . . .
مَنْ كان ذا قلبٍ فلا يُحابِيَنّ به ظالمًا . . .
فإنّ النّصرَ مَع الصّبرِ وَإنّ مع العُسرِ يُسرًا . . .

إضاءة:

صفحةٌ من كتابٍ لم تُطوَ بعد ، وأحرفٌ اتّصل أوّلها فتشكّلت ، ولم يتّصل آخِرها ، وروحٌ ترى الأفق أضيقَ من أن يتسع لفضائها ، وقلبٌ تخضّب بالعاطفة الثّائرة الّتي لا تعرف الهدوء ، وإيمانٌ شرّش في خلايا كلّ جارحةٍ أرادت ألاّ تخفض رأسَها مهما كان السّقف الّذي يُحاصِرُ حرّيتها!!

إنّ غُصّةً واحِدةً في مجرى حلقي لا يُمكن أن تشفيَها كلّ أنهار الكون ، وإنّ نفثةً واحِدةً من أحزان صدري لو أصابت أهل الأرض لتحوّل الهواء إلى عالَمٍ يضجّ بالأسى . . . جئتُ لأقول كلمتي للتّاريخ ، وسيحفظها التّاريخ أو ينساها ، ليس ذلك مُهمًّا!! المهم أن أقولَها . إنّ الدّفقات الّتي تغلي بين جدران أعماقي لا يُمكن أن أصبر عليها طويلاً ، ولا يُمكن أن أخبّئها في أدراج مكتبي ، أو

أحفر لها شِقًا في حائط غرفتي ؛ كي لا يعثروا عليها عندما يفتّشونها ، ولا يُمكن أن أؤجّلها إلى الغد ؛ الغد يعني أن تُنافق ، إنّ فكرة التّأجيل ليست واردةً عندي أبدًا ، إنّها مثل النّسيء زيادةً في الكفر . . . إنّ كلماتي انبثقت مع هذا الغَلَيان الّذي إنْ لم أفجّره فجّرني ، وإن لم أفتحْ أمامه القَنَوات ليأخذ مجراه الطّبيعيّ أهلكني . . .

إنّ القصيدة الّتي تخرج عن القلب لا منه ؛ ليست صادِقةً . السّجن أسدى إليّ نعمةً لم أكنْ لأحوزها لولاه ؛ إنّه مسح على قلبي فأحاله بحرًا من الحنان والحنين والرّضى ، واكتشف سماء الحبّ فيه ، وعلّمني أن أكون مُستمِعًا جيّدًا ؛ جعلتُ قلبي صفحةً بيضاء واستمعتُ لهم جميعًا ، إنّك لن تستطيع أن تُبادِلهم أمواج حبّك ما لم تُصغِ جيّدًا ، حملتُ لإخواني - الّذين تنشّقتُ معهم عبير الحرّيّة رغم الصّفائح الجدرانيّة - جنّةً من الزّهور الفوّاحة ، وأقمتُ لكلٍّ منهم فيها حديقةً جميلةً ؛ اخترعتُ لهم أسماءَ وردٍ وزنابِقَ لم يسمعوا بها . . . تخيّلوا أنّ الحبّ لا يقف في

وجـهــه شيءٌ ، كنتُ أحبّ حـتّى أفـراد الأمن المكلّفين بحراستنا ؛ لم أكنْ أعرف أنّ السّجن يُفجّر في القلب ينابيع الحنان كلّها!!

كنتُ كلّما ازداد الحِرمان الجسديّ ازداد الفَيَضان الرّوحيّ ، كم كنتُ مُستمتِعًا بذلك ؛ الطّريقة المضمونة والمُحبّبة للتّواصل مع الآخرين . . . أوصلتْني القُضبان إلى شيءٍ من الاختِمار المطلوب ، كُنّا نقول : إنّنا ثِمارٌ يخرج من السّجن أوّلنا نضوجًا . . . شعورنا بالحرّيّة خلف القُضبان كان طاغِيًا ، تتسرّب العبوديّة إلى قلوبنا أحيانًا حينَ تُفتح الأبواب جميعها أمامنا ، ولا يبقى للقيد ذلك الرّنين المُحَبّب ، أو ذلك الألم اللّذيذ . .!! شيءٌ من الاقتِناع أنّ السّجن قد يكون في حالةٍ ما هو مكاننا الطّبيعيّ . ليس جنونًا ؛ إنّه قمّة الواقعيّة ، حرّيّة الرّوح لا تهبها الفضاءات المُطلَقة ، وجُدران الزّنازين الانفراديّة لا يُمكن أن تموضعها . . .!!

أيمن العتوم

١٩٩٧/١١/١١م

لَنا صُبْحٌ نُؤَمِّلُهُ

يـا أُمَّ أَيْـمَـنَ لا شَـكْـوَى تُـرَدِّيـنـا
إِلاَّ إِلـى اللهِ ؛ إِنَّ اللهَ يَحْـمِـيْنَا
نَمُـوتُ مِنْ أَجْلِ أَنْ تَحْـيـا عَـقِـيْـدَتُنا
وَلا نَـذِلُّ لِجَـبَّـارٍ وَطاغِـيـنا
لَقَـدْ وَرَدْنا عَلى حَوْضِ الهُـدَى شَـرَفًا
فَـلا السُّـجُـونُ وَلا التَّـعْـذِيْبُ يَثْنِيْنَا
لَـنا نُفُـوسٌ يَهـابُ المَوْتُ عِـزَّتَهـا
وَلا تَـنـامُ عَـلـى ذُلٍّ مَـآقِـيـنا
إِنّا صَـبَـرْنا عَلى ضَـيْـمٍ نُسـاقُ لَهُ
وَإِنْ يَكُ الصَّبْرُ فِي الأَحْـشـاءِ سِكّيْنا
فَـلا تَخـافِي لَنا صُـبْحٌ نُؤَمِّلُهُ
يَهْـدِي السَّراةَ الحَـيـارَى حِـيْنَ يَهْـدِيْنَا

أَنا رَضِـيْتُ بِمـا أُوْذِيْتُ مِنْ بَلَدِي

وَكُلُّ جُـرْحٍ بِصَـدْرِي فـاضَ نِسْـرِيْنا

أُحِـبُّـهُمْ مـا أَسـاؤُوا لَسْتُ أَكْـرَهُهُمْ

وَهَلْ سَـأَكْـرَهُ مِنْ شَـعْبِي المَساكِينا؟!

إِذا دَعَـوْتُ بِإِحْـسـانٍ دَعَـوْتُ لَهُمْ

وَقـالَ كُلُّ زَفِـيـرٍ فِيَّ آمِـيـنا

أَوَّاهُ يا بَلَدًا تُشْـرَى كَـرامَـتُـهُ

وَيَسْـتَـبِـيحُ حِـمـاهُ المُسْـتَـبِـدُّونا

أَنا الأَسِيُّ عَلى جُـرْحٍ يُمَـزِّقُـهُ

وَإِنْ يَصِحْ كُنْتُ مِنْ بَلْواهُ مَطْعُـونا

وَإِنْ يَقُلْ : آهِ . . . يَلْمَسْ حَـرَّها بِدَمِي

وَإِنَّ كُلَّ الَّـذي يُبْكِيْـهِ يُبْكِـيـنا

أُحِبُّ أَرْضِي وَأَهْلِي وَالـهَـوَى أَبَدًا

وَذُبْتُ فِي الحُبِّ حتّى صِرْتُ مَـجْنُونا

فَـلا أَقُولُ : أَسـاؤُوا لِي ، عَلى مَـضَضٍ

وَلا أَقُـولُ : هُمُ الأَدْنَوْنَ ، تَهْـوِينا

وَلا أَقُـولُ انْتُـقِـصْنا مِنْ كَـرامَـتِنا
وَلا أَقُـــولُ ذُبِحْنا عَنْ أَمـــانِيْنا
لَقَـدْ بَرِئْنا مِنَ الأَحْـقـادِ يا وَطَنِي
وَكُلُّنا صـارَ بِالتَّـحْنانِ مَـسْكُونا

**

يا أُمَّ أَيْمَنَ أَجْـرٌ لا نُضَـيِّـعُـهُ
وَاللهُ يَخْـتِمُ بِالحُـسْنَى وَيَجْـزِينا
أنا سُـجِنْتُ لأَشْـعـارِي ، وَإِنَّ دَمِي
شِعْرِي ، وَلَسْتُ عَلَى ما فاتَ مَحْزُونَا

سجن المُخابرات - زنزانة رقم ٦٧

١٩٩٦/٩/٩م .

كَتَبْتُ فَوْقَ جِدارِ السِّجْنِ

كنتُ أكتُبها على جُدران زنازين المخابرات ، وإن كان الذي يكتبها قلبي ، وليس أصابعي ، ولا الأقلام التي كانت مستحيلة الوجود ، وفي الهواء كنت أرسم بعيوني طيفها . . . تلك التي لم تتذوّق طعم دمائي على أوراقي حتى الآن وأظنها لن تفعل ذلك يوما ، لأن نفسيّتها امتزجتْ بعواصف التّردّد . . . تلكَ ميسون . . .

كَتَبْتُ فَوْقَ جِدارِ السِّجْنِ أَهْواكِ
وَفِي لَيالِيْهِ شاقَ القَلْبَ رُؤْياكِ
شَقِيَّةٌ أَنْتِ ما زالَتْ تُعَذِّبُنِي
وَتَذْبَحُ الرُّوْحَ إِنْ حَنَّتْ لِذِكْراكِ
شَدَدْتُ قَيْدِي عَلَى رُسْغِي فَلَيْسَ لَهُ
أَمْرٌ كَأَمْرِكِ أَوْ أَسْرَى كَأَسْراكِ

وَمَـــا يُعَـــذِّبُنِي شَيْءٌ كَـــذاكِـــرَةٍ
كـانَتْ وُرُودًا فَـصارَتْ مَـحْضَ أَشْـواكِ
إِنْ كُنْتِ فِي الحُبِّ يا مَيْسونُ خاطِئَةً
فَلَيْتَ حُـــبِّيَ بَعْضٌ مِنْ خَطاياكِ
قَـضِيَّـتِي أَنْتِ لَمْ أَحْـسِمْ نِهـايَتَـهَـا
وَقَـدْ شَـقِـيْتُ بِعُـمْـرٍ لَيْسَ أَشْـقـاكِ
فَـسـامِـحِـيْنِي غَـدًا يَمْـضِي لِطِيَّـتِـهِ
قَلْبِي ، وَتَمْـضِـيْنَ فِي حُلْمٍ تَغَـشَّـاكِ
غَـدًا سَـيَـبْـرَأُ قَلْبِي مِنْ صَـبـابَتِـهِ
وَإِنْ أَشُكَّ بِأَنِّي سَـــوْفَ أَنْســـاكِ
أَنا سُطُورُ دَمٍ مـــا زَالَ نازِفُـــهـــا
مُـبَـعْـثَـرًا فَـوْقَ آفـاقِي وَأَفْـلاكِي
مَـيْـسُـونُ لا تَسْـأَلِي يَوْمًـا إِذا كُـتِـبَتْ
لَـنا الحَـيـــاةُ : لِماذا كُنْتُ أَهْواكِ؟!
ولا تَـقُـــولِي لِمَاذا ذابَ فِيَّ جَـــوًى
هَذا الجَـرِيْحُ الذَّبِيحُ البـائِسُ الشَّـاكِي

لا تَعْجَبِي إنْ سَمِعْتِ الشَّدْوَ فِي أَلَمِي
فَـــإنَّ صَـــوْتَ غِنائِـي لَـحْنُهُ باكِ
مَيْـسُونُ مَـاذا تَمَنَّى القَلْبُ لَوْ بَرِئَتْ
جِـراحُـهُ بَعْـدَ لأْيٍ غَـيْـرَ لُقْـيـاكِ
لَقَـدْ شَـقِـيْتُ بِأَحْـلامٍ أُسـامِـرُها
جُنْحَ اللَّيـالِي وَحَـوْلِي طَيْـفُكِ الزَّاكِي
رُوحِي عَلَى سُـبُـحـاتِ الكَوْنِ هائِمَـةٌ
ولا تُحَـــدُّ بِأَسْـــوارٍ وَأَسْـــلاكِ
لِي قَلْبُ مُنْتَـفِضٍ ، بِالحُبِّ مُـرْتَعِشٍ
وَمَـا شَكَوْتُ ، فَنَبْـضِي مِنْ هَداياكِ
أَمـا تَزُورِيْنَنِي فِي السِّـجْنِ لَوْ لُفِظَتْ
أَنْفـاسُ رُوحِي ، ومـاتَتْ دُونَ مَـرْآكِ؟!
أَمَـــا تَزُورِيْنَنِي لَوْ أَنَّ لِي أَمَـــلاً
أَنْ يَسْـتَـبِيْنِي عَلَى أَسْـرِي مُـحَيَّاكِ؟!!
بَيْنِي وَبَيْنَكِ أَسْـوارٌ تُسَـيِّـجُنِي
وَأَنْتِ فِيَّ فَـسِـيْـجُنِي فِي حَنايَاكِ

يَا حُلْوَةَ القَلْبِ يَا أَنْداءَ عــاطِفَــتِي
يا لَثْــغَــةَ اللَّفْظِ ، يَا أَشْــذاءَ نَجْــواكِ
يَا أَصْلَ حُــزْنٍ وَأَحْــلامٍ مُــجَنَّحَــةٍ
بَرِيْئَــةٌ مِنْ خَــيــالٍ أَنْتِ أَفَّــاكِ
قُولِي ، وَقُولِي ، وَقُولِي ، دُوْنَ أَنْ تَقِفِي
فَــمــا أَرَى الشَّــهْــدَ إلاَّ نَبْــعُــهُ فَــاكِ
قُــوْلِي كَــرِهْتُكَ ، أَوْ قُــوْلِي أُحِــبُّكَ ، أَوْ
قُــولِي جَــهِــدْتُكَ عَنْ نَفْسِي وَإِدْراكِي
دَمِي هُنا ، وَدُمُــوعِي ، وَالضَّنَا ، وَأَنا
وَالصَّــبْــرُ يَقْــتُلُ إِيْمــانِي وَإِشْــراكِي
إِذا تَبَــــرَّأْتُ مِنْ شَــــوْقٍ يُؤَرِّقُنِي
فَــــمَنْ لِقَلْبٍ إِذا أَقْــصــاكِ أَدْناكِ
إِذَا قَــصَــيْتِ فَــقَلْبِي لا يُطاوِعُنِي
وَإِنْ دَنَوْتِ كَــأَنَّ المَوْتَ أَحْــيــاكِ
أَمْــنٌ يُخَــــوِّفُنِي ، يَأْسٌ يُؤَمِّلُنِي
قُــرْبٌ يُبــاعِــدُنِي ، وَالغَــدْرُ أَوْفــاكِ

فَكَيْفَ أَتْرُكُنِي لِلْهَمِّ يَعْبَثُ بِي
وَالقَلْبُ تَقْذِفُهُ أَمْواجُ شَكَّاكِ
خَلْفَ السَّحابِ غُيُوبٌ لا قَرارَ لَهَا
مِنْ غَيْهَبٍ فِي ثَنايا النَّفْسِ أَخْفاكِ
هِيَ الحَياةُ جَزَاءٌ فِي تَبَدُّلِها
فَمَا أَرَاحَكِ يَوْمًا صَارَ أَضْناكِ
سَتُقْتَلِيْنَ كَما قَدْ كُنْتِ قَاتِلَةً
وَسَوْفَ تَبْكِيْنَ يا مَيْسُونُ قَتْلاكِ

سجن المخابرات / زنزانة ٩٥

١١ / ٩ / ١٩٩٦ م .

نُبُوءَاتُ الجَائِعِين

(١)

سَتَمُرُّ أَعْوَامٌ كَأَعْوَامِ الرَّمَادِ على بِلادي
لا شَيْءَ غَيْرَ الجُوعِ ... وَالفَحْشَاءِ ...
وَالأَحْزَابِ ... وَالفِرَقِ العَدِيْدَةْ
سَيَمُرُّ مَنْ أَكَلُوا التُّرَابَ عَلَى البَيَادِرِ
ثُمَّ يَبْتَدِئُونَ أُغْنِيَةَ الحَصِيْدَةْ :
نَحْنُ العَجِيْنَةُ لِلْحُكُومَاتِ الرَّشِيْدَةْ
وَسَيَهْتِفُونَ بِرُوحِ قَائِدِهِمْ وَأَيْدِيْهِ المَدِيْدَةْ
وَسَيَجْلِسُونَ عَلَى الحَدِيْدَةْ
وَسَيَهْتِفُونَ ... وَيَهْتِفُونَ ...
فَمَا أَجَادُوا غَيْرَ تَصْفِيْقٍ لأَصْحَابِ السَّعَادَاتِ السَّعِيْدَةْ
وَسَيَشْرَبُونَ دِمَاءَ عِزَّتِهِمْ

وَيَقْتَتِلُونَ مِنْ أَجْلِ الكَرَامَاتِ الفَقِيْدَةْ

وَتَنِزُّ مِنْ جُرْحِي عَلَى جُرْحِي إِلى جُرْحِي القَصِيْدَةْ

مِنْ أَيْنَ تَبْدَأُ في بِلادِ الخَوْفِ سَابِقَةٌ حَمِيْدَةْ

يا ثَوْرَةَ الجُوعِ المَجِيدَةْ

يا ثَوْرَةَ الشُّرَفاءِ لا . . . لا أَصْفِياءَ هُنا . . .

تَفَرَّقَ بَيْنَنَا لَـحْمُ القَبائِلِ

كُلُّنا فِي المَعْمَعَةْ

لا أُرْدُنِيُّونَ انْتَهَوْا

سَقَطَتْ عَباءاتُ العَشِيْرَةِ

وَانْتَهَى شَعْبٌ تَمَرَّسَ فِي النِّضالِ لَهُمْ وَوَاجَهَ مَصْرَعَهْ

هُمْ يَشْرَبُونَ مَدامِعَهْ

هُمْ يَصْنَعُونَ فَجائِعَهْ

هُمْ يَسْرِقُونَ مَواقِعَهْ

هُمْ يَنْحَرُونَ أَضالِعَهْ

هُمْ بَيَّعُوا أَوْطانَهُ وَمَرابِعَهْ

وَيُوَقِّعُونَ عَلَى انْتِهَاءِ الـمَوْقِعَةْ

وَسَيَقْرَعُونَ لِنَخْبِهِمْ حُمْرَ الكُؤُوسِ الـمُتْرَعَةْ
هُمْ ضِدَّهُ أَبَدًا . . .
وَأَكْثَرُ مَا يُعَذِّبُ أَنَّهُمْ حُسِبُوا مَعَهْ

(٢)

حَقٌّ يَضِيْعُ ولا يَعُودُ
الحَقُّ يُنْتَزَعُ انْتِزاعْ
هَذَا أَنا . . .
شَعْبٌ يُعَذَّبُ فِي السُّجُونِ بِغَيْرِ ذَنْبٍ
ثُمَّ يُسْلَبُ دُونَهُ حَقُّ الدِّفاعْ
هَذَا أَنا . . .
دَمْعِي . . . دَمِي . . . أَهْلِي . . . بِلادِي . . .
كُلُّهُمْ رَهْنُ الضَّياعْ
هَذَا أَنا . . . ما زِلْتُ أَعْرِفُهُمْ
لَقَدْ خَرَجُوا جَمِيعًا مِنْ جُحُورِ الغَرْبِ
قَدْ شَرِبُوا حَلِيبَ الغَدْرِ مِنْ ثَدْيِ الضَّباعْ

لَمْ يُنْكِرُوا أَبدًا . . .

وَأَجْبَنُهُمْ تَعَرَّى مِن نُصوصِ الدَّوْرِ فَوْقَ المَسْرَحِ القَوْمِيِّ

أَعْلَنَ أَنْ لَهُ نَسَبٌ يَمُتُّ لِقَيْنُقاعْ

وَتَبَرَّأَتْ مِنْهُ ثِيابُ النَّاسِكِيْنَ

وَفارَقَ الوَجْهَ القِناعْ

هُوَ يَا أَبِي

أَنَا سُحِبْنا - دُونَ أَنْ نَدْرِي - لِساحاتِ النِّزاعْ

هُوَ يا أَبِي . . .

قَدَرٌ يُلاحِقُنا وَمَا عَلَّمْتَنِي مَعْنَى الرُّجُوعِ ولا الخُضُوعِ ولا الخُنوعِ

بَلِ انْدِفاعٌ لانْدِفاعْ

هُوَ يا أَبِي . . .

لَيْلٌ وَجِئْنا كَيْ نَكُونَ لَهُ الشُّعاعْ

البَحْرُ هاجَ بِنا . . .

السَّفِيْنَةُ ضِدَّنا . . .

الأَمْواجُ تَبْلَعُنا . . .